﴿فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾﴾ [المؤمنون: 54]

❁ مُناسَبَةُ الآيةِ لِما قَبْلَها:

نتج عن تفرّقهم وتقطّعهم زُبُرًا انغماسهم في الضّلال

لمّا فرح النّاكبون عن الصّراط بما كان من تفرّقهم على أديان وكتب كثيرة، وكلٌّ يدّعي أنّه على الطّريق المستقيم؛ فتحصّل من ذلك أنّ الضّلال وإن بانَ فلا يكشفه إلّا ذو الجلال؛ فتسبب عنه هذه الآية تسليةً لحبيبه ﷺ في تركهم في ضلالتهم حينًا من الزّمن[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿فَذَرْهُمْ﴾: (وذر) الفعل الماضي منه متروك، أماتته العرب، وأبقت الحاضر (يذرُ) والأمر (ذرْ)، وهو بمعنى التّرك؛ ولذلكَ استغنوا بالفعل (تركَ) عن الفعل (وذرَ)، وسُمعَ المصدر (وذرٌ)، ويُقالُ: فلانٌ يذرُ الشّيءَ، أي: يقذفه لقلّة اعتداده به؛ فقد فُسرَ قوله: ﴿ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾﴾ [الأنعام: 91] بمعنى القذف والإلقاء والتّرك فلا يعتدّ بهم ولا يبالى لهم[2]، فهو أخصّ من التّرك بزيادة عدم الاعتداد، ومنه الوذرة قطعة من اللّحم صغيرة[3]، ومعنى ﴿فَذَرْهُمْ﴾ في الآية، أي: اتركهم يا محمّد ﷺ وقتًا من الزّمان؛ فيأتيهم ما وعدهم الله تعالى من العذاب[4].

2) ﴿غَمْرَتِهِمْ﴾: (غمر) أصلٌ يَدُلُّ على تغطيةٍ وسَتْرٍ في بعض الشدّة، فمن ذلك: الغَمْرُ بمعنى الماء الكثير المُغرِق، والماء غامرٌ لأنّه يغطّي كلّ شيء وقع فيه، ويجوز أن يدلّ الغمر على السّعة بقوله: هو غَمْر الخَلْق، أي: واسعه، والثّوب الغمر أي: السّابغ وهو من المجاز،

(1) البقاعي، نظم الدرر: 13/ 157 - 158.
(2) ابن منظور، لسان العرب، والراغب، المفردات، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (وذر).
(3) محمّد جبل، المعجم الاشتِقاقيُّ المؤصَّل: (وذر).
(4) السمرقندي، بحر العلوم: 2/ 483.

وقد يدلّ على الزّحمة والكثرة من قولهم: دخلت في غُمار النّاس، أي: زحمتهم وكثرتهم[1]، ، ومعنى ﴿فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ﴾ الغَمْرة هنا بمعنى الضّلالة والجهل والغفلة والحيرة[2] فكلّها تستر الإنسان عن تبصرة الحقيقة.

3) ﴿حِينٍ﴾: الحاء والياء والنّون أصل واحد، ثمَّ يُحملُ عليه، والأصل الزَّمان، فالحين الزَّمان قليلهُ وكثيرهُ، وهو الحقبة من الدّهر، وإذا حان الحين فقد قرُب الوقت[3]، وهو كالوقت يصلح لجميع الزّمان طالت أم قصرت، ومعنى أن يذرهم حتّى حين، أي: يتركهم حتّى تفنى أجسادهم[4]، فإنّ الوقت كفيل بذلك.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

خطابٌ من المولى سبحانه لحبيبه ﷺ، في الذين قطّعوا دينهم، وجعلوه شيّعًا وفِرَقًا، كلّ حزب يدّعي أنّه على الصّراط المستقيم، أن يدعَ هؤلاء الكفّار المتفرّقين على حالهم، وأن لا يشغل قلبه بهم حتّى يأتي حينُ قتلهم، أو موتهم على كفرهم، أو أن يحلّ العذاب بهم، فهو وعيدٌ لهم، وتسليةٌ له ﷺ، ونهيٌ عن الاستعجال والجزع[5].

خطابٌ لنبيّه أن يتركهم في غفلتهم وحيرتهم حتّى الموت أو نزول العذاب

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

دلالة الفاء في ﴿فَذَرْهُمْ﴾:

الفاء في قوله تعالى: ﴿فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ﴾ لإفادة السّببيّة، فإنّه لمّا تقطّعوا أحزابًا فرحين فرَحَ الجاهلِ الضّالّ، تسبّب عنه قول الحقّ ﷻ هنا تسلية لرسوله ﷺ أن يتركهم على شرّ حالاتهم[6]، ويجوز أن

مَنْ أعرضَ عَنِ الله أعرضَ عنه الصّالحون

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة، والراغب، المفردات، ومحمّد جبل، المعجم الاشتِقاقيُّ المؤصَّل: (غمر).
(2) العز بن عبد السلام، تفسير القرآن: 2/ 377.
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والسّمين الحلبيّ، عمدة الحفّاظ، وابن دريد، جمهرة اللغة: (حين).
(4) الهروي، الغريبين في القرآن والحديث: 2/ 518.
(5) إسماعيل حقّي، روح البيان: 6/ 89.
(6) البقاعي، نظم الدرر: 13/ 158.

تكون الفاء في ﴿فَذَرْهُمْ﴾ دالّة على التّرتيب، فقد أراد ترتيب فعل الأمر بتركهم على ما قبله من فرحهم المزعوم بما تحصّل لديهم من الدّين الذي كان خيارهم بعد تفرّقهم وتقطّع أمرهم[1].

بلاغة التعبير بفعل الأمر في ﴿فَذَرْهُمْ﴾:

أمر خارج مخرج التّهديد

بعد ما صاروا إلى الهوى والضّلال، فقطّعوا دينهم ومِلَّتَهم وفرحوا، أمر الحقّ سبحانه رسوله ﷺ بأن يتركهم ومصيرهم، وهو أمرٌ خارجٌ مخرجَ التّهديد لهم، لا مخرج الأمر له ﷺ بالكفّ عنهم، وتركهم على ما هم عليه[2]، ففعل الأمر ظاهره خطاب له ﷺ يراد منه المتاركة، إلّا أنّ حقيقته الإملاء لهم، وإنذارهم بأنّ عاقبة السّوء هو ما يستقبلهم[3].

سرّ الانتقال من خطاب الضالّين إلى خطاب سيّد المرسلين النّبي ﷺ:

تسلية رسول الله ﷺ ونهيه عن استعجال عذابهم

بعد أن كان الخطاب موجَّهًا إلى أمم الرسل بأن يكونوا مع الملّة الواحدة، ثمّ ما كان منهم من تقطّع أمرهم، وتحزّبهم فِرَقًا وطوائفَ، انتقل بالخطاب إلى الأمر بقوله: ﴿فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ﴾ تهديدًا لهم، وتسليةً لرسوله ﷺ، ونهيًا عن أن يستعجل عذابهم[4].

بلاغة الاستعارة في قوله: ﴿غَمْرَتِهِمْ﴾:

شبّه جهالتهم وضلالهم بالماء الذي يغمرهم

وقوله تعالى: ﴿فِي غَمْرَتِهِمْ﴾: استعارة تصريحيّة، فقد شبّه جهالتهم بالماء الذي يغمرهم، ويستر عقولهم، ووَجْهُ الشّبه الغلبةُ والاستهلاك مطلقًا، فهو حسّيّ في المشبّه به وهو الماء، معنويّ في المشبّه وهو الغلبة والهلاك[5]، أو استعارة تمثيلية، فقد مَثَّلَ حالَهم وهم ﴿فِي غَمْرَتِهِمْ﴾ بمن يغمره الماء، وهو يلعب به؛ لما هم عليه من

(1) مجمع البحوث، التفسير الوسيط: 6/ 1301.
(2) الشوكاني، فتح القدير: 3/ 576.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 18/ 74.
(4) ابن عجيبة، البحر المديد: 3/ 581.
(5) القونوي وابن التمجيد، حاشيتان على تفسير البيضاوي: 13/ 190.

الضّلال والباطل والجهل والعَماية[1]، فهو كمن يضيّع السّعي بعد الكدح؛ فهو من باب الاستعارة التّمثيلية[2].

سرّ إضافة غمرة إلى ضمير الغائبين:

إضافة الغمرة إلى الضّمير الدّالّ على الجمع للتّعميم

استعمل المفرد (غمرة) في قوله تعالى: ﴿فِي غَمْرَتِهِمْ﴾ على إرادة الجمع والعموم؛ لأنّه لمّا أضافها إلى ضمير الغائبين المجموع أدّت معنى العموم والجمع، فالمفرد إذا أضيف إلى العامّ عمّ[3]، وفي إضافة الغمرة إلى ضمير الغائبين إيماء إلى ملازمتها إيّاهم حتّى أصبحت عَلَمًا عليهم يُعرفون بها في تمثيل لاشتغالهم بما هم فيه من ترف العيش، وانحرافهم عن التّدبر فيما يُدعون إليه لينجوا من العذاب، فشبّههم بحال قوم غُمروا بالماء، وأوشكوا على الغرق، وهم يحسبون أنّهم يَسْبَحون[4].

معنى شبه الجملة ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾:

﴿حَتَّىٰ﴾ في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾ دالّة على الغاية، والمعنى: (اتركهم يا محمّد ﷺ إلى الوقت الذي ضربناه لهم قبل الخليقة، فعِلْمُنا محيطٌ بهم، وبكلّ ما يصدر منهم على أنّه وقت يسير قصير)[5].

الغرض من تنكير ﴿حِينٍ﴾:

اتركهم وضلالَهُم إلى أجلهم المعدّ لهم

أورد الحين منكَّرًا في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾؛ لأنّه يَحْتَمِلُ أن يكون المعنى أن يتركهم حتّى يوم القيامة، ويحتمل أن يكون التّرك حتّى وقت آخر غير معلوم لم يُبَيَّن[6]، ويحتمل حتّى الموت، ويحتمل أن يكون قد خرّجه مخرج الوعيد، كقولك للمتوعَّد: لك يوم[7]، ويجوز

(1) الزمخشري، الكشاف: 3/ 191.
(2) القونوي وابن التمجيد، حاشيتان على تفسير البيضاوي: 13/ 191.
(3) أبو حيان، البحر المحيط: 7/ 567.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 18/ 74.
(5) البقاعي، نظم الدرر: 13/ 158.
(6) الماتريدي، تأويلات أهل السنة: 7/ 474.
(7) الماوردي، النكت والعيون: 4/ 58، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 12/ 130.

في التّنكير في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾ أن يكون على إرادة التّهويل والتّخويف[1] بما كان منهم من تفرّقهم في الدّين، وتحزّبهم وفرحهم بما كان منهم من غفلة وحيرة، وكثافة حجاب.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

(ذَرْهُمْ) و(اتركهم):

دلالة (ذرهم) على عدم الاعتداد والاكتراث

قوله تعالى: ﴿فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ﴾ عبّرَ بالفعلِ (ذرهم)، وجذرُه من (الوذر)، ولم يعبّرْ بفعلِ التّركِ، لأن (وذر) دالٌّ على التّخلي عن الشّيءِ إهمالًا له، وقذفه لعدمِ الاعتدادِ به[2]، أمّا التّركُ فهو فعلٌ عامٌّ يطلقُ على التّخلّي عن الشّيءِ و"تخليفِ الشّيءِ في المكانِ الذي هو فيه، والانصرافِ عنه"[3]، ففي ترك هؤلاء إهمال لهم، وعدم اعتداد بهم جزاءً بما كانوا يكسبون، فإنّه لَمّا حَباهم الحقّ سبحانه بالملّة الواحدة فتنكّبوا عن الهدى، وفرّقوا دينهم، وتقطّعوا أمرهم، وتحزّبوا فِرَقًا وأحزابًا كان مصيرهم أن يُتركوا مع الإهمال، وعدم الاعتداد بهم؛ فهو جزاؤهم.

الحين والوقت:

الوقت مقدارٌ معيَّنٌ والحين أجل غير محدّد ضربه الله لهم

استعمل لفظ (الحين)، ولم يستعمل لفظ (الوقت)؛ لأنّ "الحين وقت واقع يقع على كلّ شيء قصيرًا كان أو طويلًا، محدودًا أو غير ذ[4]، أمّا الوقت فهو مقدار معيّن من الزّمان يُفرض لأمر ما[5]، ولما كان الوقت المضروب لهم غير محدّد وغير معلوم[6] أورد لفظ (الحين)، فقد ذهب فيه المفسرون مذاهب كثيرة كالموت والفناء والقيامة وحلول العذاب والوعيد وغير ذلك.

(1) ابن عجيبة، البحر المديد: 3/ 581، وطنطاوي، التفسير الوسيط: 15/ 42.
(2) الراغب، المفردات: (وذر).
(3) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 124.
(4) العسكري، الوجوه والنظائر، ص: 194.
(5) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 676.
(6) الماتريدي، تأويلات أهل السنة: 7/ 474.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخامس والثلاثون،
سورة الحَجّ من الآية 51 إلى سورة المؤمنون الآية 63
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الخامس والثلاثون، سورة الحَجّ من الآية 51 إلى سورة المؤمنون الآية 63
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 35 ، 804 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-77-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 35 : المجلد الخامس والثلاثون، سورة الحَجّ من الآية 51 إلى سورة المؤمنون الآية 63.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-77-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-7984898 بتاريخ 2024/11/14م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»